

جناية أحمد أمين

على الأدب العربي

للدكتور زكي مبارك

- ٦ -

—❦—

أرى من الواجب في مطلع هذا المقال أن أوضح مسألتين خفيتا على بعض القراء فجرت ألسنتهم بالغب واللام .

المسألة الأولى ، هي الحكم بأن أحمد أمين ينظر إلى الأدب ، وإلى الوجود نظرة عامية ؛ فقد ظن فريق من الناس أننا نقول بأنه من العوام في حدود الاصطلاح المألوف ، على معنى أنه بعيد عن الجو الذي يعيش فيه العلماء .

وذلك غير ما نريد . فأحمد أمين تآق العلم في مدرسة القضاء الشرعي وظفر بإجازتها المالية ، وجلس للقضاء في المحاكم الشرعية بضع سنين . ثم اشتغل بالتدريس في الجامعة المصرية . فهو ليس

(الكشوف - العدد : ١٧٥ الدكتور طه حسين يتحدث عن المروبة ...)

ترو من كل ذلك أيها الأستاذ أن مسألة الوحدة العربية ليست من القضايا التي يمكن أن تناقش وتعالج بالصناعة الكلامية والانفعالات الارتجالية ... كما ترون أن الخطوة التي سلكتموها في معالجة هذه القضية تخرجكم دائماً إلى مواقف تخالفون فيها الحقائق الراهنة مخالفة صريحة ، كما جرتكم في بعض الأحيان إلى مواقف تناقضون فيها أحاديثكم الذاتية أيضاً ...

إنكم تدعون الفكرين إلى بذل الجهود في سبيل « تجديد العقل العربي » ... وكم كنت أود أن أراكم تعملون بهذه الدعوة في المناقشات التي نخوضون فيها ، ولا سيما إذا كان موضوع المناقشة من الموضوعات الهامة مثل « فكرة المروبة » و « الوحدة العربية » ...

برمانا ،

أبرهه

عامياً بالمعنى المعروف ، وإنما نريد أن نقول إن أحمد أمين على كثرة ما قرأ في الكتب وما سمع من العلماء لا يزال يفكر كما يفكر العوام . ولتوضيح ذلك نقول : إن في أهل العلم من يكون أقل اطلاعاً من زملائه ، ولكنه قد يكون أقوى منهم في صحة الفهم وسلامة التمييز وقوة الإدراك ، نيكون محصوله القليل أجدي وأنفع ، ويكون له في أحكام العقل مجال

وفي مقابل ذلك نرى بعض العلماء المزودين بكثير من الثقافات ينظرون إلى الوجود نظرات عامية لا تمتاز بشيء عن نظرات العجائز من قماند البيوت .

وأحمد أمين قليل الاطلاع في ميدان الأدب العربي بلا جدال ، وهو مع قلة اطلاعه يحكم على الأدب أحكاماً عامية ، بعيدة كل البعد عن أحكام الخواص ، وقد أسلفنا الشواهد التي تؤيد رأينا فيه ، وسنسوق شواهد جديدة .

المسألة الثانية ، هي التعرض لأعماله للماشية : فقد استنكر بعض القراء أن نقول إنه يكسب كيت وكيت ، وعدوها مسألة شخصية

ونقول إننا تعرضنا لذلك لفرضين : الأول هو النص على أن أحمد أمين مشغول عن الفكر والفلم بشواغل تصرفه عن التجويد في البحث والتفكير والإبداع ، والفرض الثاني هو تذكيره بأنه لا يجوز لمثل أن يعيب على أدباء العرب أن يشغلوا بعمائهم وهو يقتل وقته بتدبير المماش

ولوشئت لقلت إن الرجل الذي يدعو إلى هجر الأدب الجاهلي جملة واحدة بحجة أنه يشل التفكير هو نفسه الرجل الذي اشترك في تأليف الكتاب « المجلد » والكتاب « الفصل » والكتاب « المنتخب » بأجر معلوم تعرفه خزينة وزارة المعارف

فإن كان أحمد أمين صادقاً في حكمه على الأدب الجاهلي فكيف جاز عنده أن يشترك في تلك المؤلفات وفيها مكان ظاهر للأدب الجاهلي وهي خليفة بأن تشل عقول التلاميذ ؟ !

وكننت قلت إن الأستاذ أحمد أمين لا يستطيع أن يخدم الجامعة المصرية بالبحان ، وإنه يأخذ منها في كل شهر ستين ديناراً ، فكتب

وإذا صح أن الشعر الجاهلي والإسلامي متحدان في الموضوعات
فهناك فرق ظاهر جداً بين المصيرين في تصور تلك الموضوعات
فالفرق في العصر الأموي فن جديد لا يعرفه العصر الجاهلي ،
وهل بتصور أديب أن أشعار عمر بن أبي ربيعة كانت لها سوابق
عند الجاهلية ؟

هل بتصور أديب أن ثائية كثير في أغراضها ومراميها
كانت لها نظائر في الشعر الجاهلي ؟

وهل يصح لأديب أن يقول بأن غزليات المرحي وجيل
والحارث بن خالد كانت لها أشباه قبل العصر الإسلامي ؟

إن الأمويين تغزلوا كما تغزل الجاهليون ، ولكنهم تفردوا
بابتكار فن جديد هو القصص الغرائي ، فهل فطن لذلك أحد أمين ؟
وهل يمكن نكران ما وصل إليه الأمويون من الرقة والظرف
في النسيب ؟

أليس فيهم الذي يقول :

إن لي عند كل نفحة يستأ
نظرة والنفساة أترجي
أليس فيهم الذي يقول :

يا أم عمران ما زالت وما برحت
القلب تاق إليكم كي يلاقكم
تمطيك شيئاً قليلاً وهي خائفة
أليس فيهم الذي يقول :

وإني لأرضى من بئينة بالذي
بلا ، وبالأمل المرجو قد خاب آمله
وبالنظرة المجلى ، وبالحول تنقضى
أواخره لا نلتقي وأوائله

أليس فيهم الذي يقول :

ولو سلك الناس في جانب
لیمت طيها لاني
أرى حبا العجب العاجبا

أليس فيهم الذي يقول :

وإني لأستحييك حتى كأنما
ولو أنني أستغفر الله كلما
علي يظهر النيب منك رقيب
ذكرتك لم تكتب علي ذنوب

إلينا أحد المطلعين يقول إنه يأخذ من الجامعة في كل شهر
خسة وثمانين لا ستين

فهل يجوز للرجل أن يأخذ هذا المبلغ بطائفة خلقية
في تدريس الأدب العربي وهو يعتقد أنه أدب لا يستحق العناية
وأنه كان في ماضيه الطويل أدب تسوّل واستجداء ؟
وبعد توضيح هاتين المسألتين أرجع إلى هذا الرجل رجمة
قاضية .

لقد دل على مبلغ فهمه للأدب حين ساق هذين البيتين في مقاله
الثالث في جنائز الأدب الجاهلي :

فاروضة زهراء طيبة الثرى عيج الندى جثجاثها وعمرارها
بأطيب من أردان عرمة موهنا إذا أوقدت بالندل الرطب نارها
قد ضبط هذين البيتين على نحو ما يرى القارى : فجعل
الندى في البيت الأول فاعلاً وجعل الجثجاث والعرار مفعولين ،
وجعل « أوقدت » في البيت الثاني مبنياً للمعلوم ونصب النار
على المفعولية

فهل سمعتم قبل ذلك أن الندى عيج الزهر والنبات ؟
لو كان أحد أمين يتأمل ما يقرأ لعرف أن الندى في البيت
الأول من هذين البيتين لا يمكن أن يكون فاعلاً ، ولعرف
أن « أوقدت » في البيت الثاني فعل مبنى للمجهول ليكمل الشاعر
معشوقته عقيلة تخدمها الوصائف
فهل يستطيع أحد أمين أن ينكر أنه أخطأ في ضبط هذين
البيتين ؟

وهل يمكن لمن يثقون بكفائته الأدبية أن ينكروا أن مثل
هذا الفهم الخاطئ دلالة على مبلغ إدراكه لدقائق المعاني ؟

ترك هذا وانتقل إلى أحكامه على الشعر العربي في العصر
الإسلامي ، وهو يراه لم يتغير من حيث الموضوع فظل كما كان
محصوراً في المدح والهجاء والفخر والحماة والنزل والرثاء
والظاهر أن أحد أمين لم يدرس الشعر الأموي دراسة تمكنه
من فهم الفروق بينه وبين الشعر الجاهلي ، فليس بصحيح أن
الموضوعات لم تتغير ، وليس بصحيح أن الشعراء الأمويين كانوا
يتناولون الأغراض الشعرية على نحو ما كان يتناولها الجاهليون

إن عميد كلية الآداب اليوم هو الأستاذ محمد شفيق غربال ، وهو مؤرخ جليل يفهم أن دراسة تاريخ القرون الوسطى أمر واجب ، لأن ذلك التاريخ كان الصلة بين القديم والحديث ، فهل نستطيع أن نشير عليه بأن ينشئ في كلية الآداب كرسيًا للعصر الأموي الذي جهله أحد أمين ؟
ليت ، ثم ليت !!

إن المسافة بين العصر الجاهلي والعصر العباسي طويلة جدًا ، لأنها تقع في نحو خمسين ومئة سنة ، وهي المدة التي انتظمت عصر النبوة وعصر الخلفاء وعصر الأمويين ، وفي تلك المدة كانت الشخصية العربية هي الشخصية التي تهدد ممالك الأرض ، والتي تسنّ شرائع الفتوة وقوانين المجد ، والتي تلون العالم بألوان مختلفات ، والتي مكنت العرب من أن يكون لهم صوت مسموع في أقطار المشرق والمغرب

فهل يُعقل أن يكون أدب العرب في ذلك العهد صورة ثانية من أدبهم في أيام الجاهلية ؟

ومن الذي يصدق أن الشعراء المسلمين كانوا يتهاجون على نحو ما كان يصنع الجاهليون ؟

وهل خطر ببال أحمد أمين أن المصيبة السياسية في العصر الإسلامي كانت لها ألوان لم يعرفها شعراء القبائل في الجاهلية ؟ هل فكر في تحديد الخصائص الشعرية للهدج والهجاء في العصر الأموي ؟

وهل تنبه إلى ما ابتكره الشعراء الأمويون حين أوقدوا نار المصيبة الجاهلية ؟

يعزّ عليّ والله أن يقع في هذه الأخطاء أستاذ فاضل من أساتذة الأدب بالجامعة المصرية ، وهي اليوم معهد عظيم يحجّ إليه طلبة العلم من أقطار الشرق

يعزّ عليّ أن يكون في رجال الجامعة المصرية من يفهم أن العصر الإسلامي صورة من العصر الجاهلي في التفكير ، وطرائق التعبير مع أن ذلك مستحيل

وهل يتصور عاقل أن خطب عليّ بن أبي طالب صورة من خطب أكنم بن صيفي مثلاً ؟

إن تفصيل ما امتاز به شعراء العصر الأموي في النسيب يحتاج إلى كتاب خاص سيؤلفه أحد أمين يوم يعرف أن الأدب لا يكال بمكيال ولا ينظر إليه بالعد والإحصاء
إن من أعجب العجب أن يقال إن الشعراء الأمويين لم يبتكروا شيئاً في التشبيب ، وهم الذين أمدوا لغة العرب بثروة وجدانية ستميش ما عاشت لغة القرآن
ألا يكفي أن يكون العصر الأموي قد ابتكر الاستنهاد في الحب ؟

ألا يكفي أن يكون ذلك العصر هو الذي خلق شخصية مجنون ليلي ، وهي شخصية شرقي سحرها وغرب ، فكانت لها أصداء عند الشعراء من أهل الشرق وأهل الغرب ؟
ألا يكفي أن يكون العصر الأموي هو الذي فهم أن الحج من المعارض الدولية للصباحة والملاحة والجمال ؟
ألا يكفي أن يكون شعراء العصر الأموي هم الذين أذاعوا بين الناس فتنة الهيام بأسرار الوجود ؟

ثم ماذا ؟

ثم جهل الأستاذ أحمد أمين أن العصر الأموي هو العصر الذي تفرد بإجادة الأراجيز ، ولكن هل فكر أحمد أمين في الأراجيز الأموية ؟

الحق أن العصر الأموي يحتاج إلى أدباء عظام يسجلون فضله على اللغة العربية ، ففي ذلك العصر ظهر الشعر السياسي ، وهو فن من الأدب يختلف عن التعصب للقبيلة كل الاختلاف ، وله مزايا وخصائص تنتظر أديباً له نظرة خاصة لا عامية
فمتى تعرف كلية الآداب ذلك الأديب ؟

إن من العار أن يقول أستاذ من كلية الآداب بأن الأدب في العصر الأموي ليس إلا صورة من الأدب في العصر الجاهلي وهل يستطيع إنسان أن يقول بأن السكيت بن زيد الأسدي كان له نظير بين شعراء الجاهلية ؟

إن العصر الأموي ينتظر أديباً يفهم أنه كان صلة الوصل بين العصر الجاهلي والعصر العباسي ، ويدرك أنه تحرر كل التحرر من العقليّة الجاهلية

فمتى تعرف كلية الآداب ذلك الأديب ؟

الديانة الموسوية والديانة العيسوية والديانة المحمدية، وفي بلاد العرب نشأت أحاديث القلب والوجدان، وهم بلا جدال أصدق من تحدث عن الأرواح والقلوب

فإن امتازت لغات الشرق والغرب بالمنظومات الطويلة في القصص والتاريخ فقد امتازت لغة العرب بأكرم أثر عرفه الوجود وهو القرآن، وهو حجة اللغة العربية يوم يقوم التفاخر بين اللغات بالأحساب

وإلى الأستاذ الجسر أوجه الكلمة الآتية :

أنت تعجب أيها السيد من أن نمنح أحمد أمين « قدرة الجنابة على الأدب العربي » وأجيب بأن أحمد أمين ليس من النكرات حتى تركه يتحدث كيف شاء . إن أحمد أمين أستاذ بكلية الآداب يا حضرة السيد ، وكلية الآداب من أكبر معاهدنا العالية ، وما يصدر عن أساتذتها الأفاضل قد يتلقاه أكثر الناشئين بالقبول وما الذي نخشاه من منح أحمد أمين مالا يستحق ؟

إن كان هجومنا عليه يعطيه فرصة جديدة من فرص الشهرة فلا بأس ، فهو صديق عزيز ، والتنويه بشأنه من أوجب الفروض المهم « يا حضرة السيد » أن يبرف أحمد أمين أن في مصر رقابة أدبية تزجر المتطاولين على ماضي الأدب العربي وتصرفهم عن اللجاج فيها لا يفيد

ونحن لا نحارب أحمد أمين بالذات ، وإنما نحارب الآراء التي نقلها تقلًا عن خصوم اللغة العربية ، وسنرى في الباحث الآتية ما يشفي صدور قوم مؤمنين

زكي مارك

« لحدث شجون »

هل يقول مفكر بأن رسائل عبد الحميد صودة مكررة لما كان يكتب الجاهليون ؟

وهل يمكن القول بأن معاوية كان يكتب بأسلوب عمر بن الخطاب ؟

إن التطور شريعة طبيعية باصديق ، فكيف تنوهم أن يكون العرب خرجوا وحدهم على تلك الشريعة ؟

إن العرب في أدبهم وتصورهم وعقليتهم قد انتقلوا من حال إلى أحوال ، وإن غاب ذلك عن فطنتك الواعية

وأن أنت من القصص الرائع الذي عرفته المساجد في العصر الأموي ؟

أين أنت من الشعر الرقيق الذي ابتكره الأمويون في وصف مجالس الأنس والشراب ؟

وهل تعرف يا حضرة الفاضل أن العصر الأموي ظلم أقيس الظلم حين اعتدى عليه خلفاء بني العباس بالحق والتبديل ؟

هل صر في خاطرك أن العصر الأموي رزى بمؤامرة سياسية حرمت تاريخه الأدبي من نعمة الوجود ؟

ثم ماذا ؟

ثم يتحدث الأستاذ أحمد أمين فيقرر أن الخضوع للأوزان الجاهلية والقوافي الجاهلية جنى علينا جنابات كبرى ، لأنه « حرمتنا من الملاحم الطويلة التي كانت عند الأمم الأخرى وحرمتنا من القصص الطويلة الممتدة »

وهذا الحكم يشهد بأن أحمد أمين يجهل طبيعة الأمة العربية بعض الجهل ، ويجهل طبائع الأمم الأخرى كل الجهل

إن أحمد أمين لا يعرف أن العرب ليس في طبيعتهم أن يأنسوا بالمنظومات المطولة في القصص والتاريخ ، وهم يتوهم أن العرب كان يجب عليهم أن يسلكوا في الشعر مسالك اليونان ، وذلك خطأ فظيع

إن عبقرية العرب ليست في القصص ، وإنما عبقرية العرب في الثناء والتمجيد عن الأنفاس الروحية . وفي بلاد العرب نشأت

